لفظ الضراعة والتضرّع في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

د. عدي جاسم مطر سلمان الهاجري

الملخص

تقوم فكرة البحث على أربعة محاور ، تناول كلٌّ محور لفظ الضراعة والتــضرّع في القرآن الكريم ، فشملت المحاور على الآتي :

المحور الأول كان الحديث عن مفهوم الضراعة والتضرع في اللغة والإصطلاح .

والمحــور الثاني فقــد كان الحديــث عن بيان التضرّع على سبيل الأمر والتوجيه .

وأمّا المحور الثالث كان الحديث عن بيان ثمرة الأخذ بالبأساء والضرّاء .

والمحور الرابع فقد كان الحديث عن بيان حال عدم التضرّع في البأساء والضرّاء .

ولا ننسى أننا اعتمدنا في ذلك كلّه على النصوص القرآنية وأحياناً نعتمد على الأحاديث النبوية .

❊ ❊ ❊

Summary:

The idea of the research is based on four topics, each of which deals with the expression of supplication and Invocation in the Noble Qur'an.

The first topic was talking about the concept of supplication and Invocation in language and idiom.

The second topic was to talk about the statement of supplication as a matter of command and statement.

As for the third topic, the discussion was about explaining the fruit of prosperity and sorrow.

And the fourth topic was the talk about explaining the state of non-supplication in prosperity and sorrow.

It is important mention to that we have relied in all of that on the Qur'anic texts and sometimes on the hadiths of the Prophet.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد؛ فإنّ من سنن الله الكونية وقوع البلاء فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البَقَرَة من الآية ١٥٥ الى الآية ١٥٦]

((وإنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط))[1]

كما قال ﷺ (وإنّ مما يخفف البلاء على المبتلى ويزيل الهم ويرفع الغم ويربط على القلب الضراعة والتضرّع إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال له جل وعلا).

فالله يحب من عبده أن يفتقر إليه وأن يظهر له فاقته وحاجته بالتذلل والخشوع .

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غَافِر الآية ٦٠]

وفي هذه الأيام نحن بحاجة ماسة وخاصة في وقت كثُرت فيه الإصابات من فيروس (كورونا) إلى الضراعة والتضرّع إليه سبحانه وتعالى فلا غنى للعبد عن ربّه وخالقه جلّ وعلا .

فإذا حلّ الابتلاء فلا سبيل لرفعه ولا النجاة منه إلا بتضرعنا إليه سبحانه .

ولأهمية الضراعة والتضرّع في التقرّب إلى الله عز وجل لتفريج الهم ، فقد ذكرت آيات في كتاب الله تصل إلى ثماني آيات بلفظ الضراعة والتضرّع وهي كالآتي على حسب ترتيبها في القرآن الكريم :

١. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٢]

٢. ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٣]

٣. ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٦٣]

٤. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥]

٥. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٩٤]

٦. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥]

٧. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦]

.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦﴾ [الغَاشِيَة الآية ٦]، فتعالوا لنسلّط الضوء عليها في هذا البحث المتواضع إن شاء الله تعالى .

- **خطة البحث :**

فقد تناولت في بحثي هذا على مقدمة وأربعة مباحث ، ذكرت في المبحث الأول : مفهوم الضراعة والتضرّع لغة واصطلاحاً ، والمبحث الثاني : بيّنت فيه التضرّع على سبيل الأمر والتوجيه، والمبحث الثالث : التضرّع ثمرة الأخذ بالبأساء والضرّاء ، المبحث الرابع : حال من ترك التضرّع إلى الله تعالى ، ثم الخاتمة وهي تتضمن خلاصة البحث، والمصادر والمراجع .

وفي الختام نسأل الله أن نكون من المقرّبين إليه بالضراعة والتضرّع له جل وعلا .

- **مفهوم الضراعة والتضرّع**

الضراعة : مصدر من ضرع يضرع ضراعة ، وذلك فإنّ اللفظ مأخوذ من مادة (ض رع)، (الضاد والراء والعين : أصل صحيح يدل على لين في الشيء ، من ذلك ضرع الرجل ضراعة إذا ذل ، ومن الباب ضرعُ الشاة وغيره سُمّيَ بذلك لما فيه من لين .)[٢]

(قال : والمضارعة للشيء : أن يضارعَه كأنّه مثلُه أو شِبْهه . وقال الأزهري : والنحويون يقول للفعل المستقبل : مضارِع ؛ لمشاكلتِه الأسماء فيما يلحقه من الإعراب .)[٣]

و (يقال : ضرع فلان لفلان وضرع له ، إذا ما تخشّع له وسأله أن يعطيه .)[٤]

ويقال : (ضرع الرجل ضراعة أي خضع وذلّ، وأضرعه غيره ، وفي المثل : أنّ الحمّى أضرعتني لك ، والضرَع : الضعيف ، وإنّ فلاناً لضارع الجسم أي نحيف ضعيف ، وتضرّع الى الله أي ابتهل .)[٥]

وقال الراغب : وتضرّع : أظهر الضّراعة ، وقوله سبحانه : ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤﴾ [الأَعْرَاف الآية ٩٤] أي: يتضرّعون فأدغم.)[٦]

وقال ابن منظور : وأضرعت له مالي أي : بذلته له ، وقوله عز وجل :﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ [الأَنْعَام الآية ٦٣] المعنى : تدعونه مظهرين الضراعة وهي شدّة الفقر والحاجة إلى الله عزو جل ، وفي حديث الإستسقاء (إنّ رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعاً متضرّعاً)[٧]، التضرّع : التذلّل والمبالغة في السؤال والرغبة .)[٨].

وقال صاحب البصائر : معناه : يتذلّلون في دعائهم إيّاه ، والدعاء تضرّع ؛ لأنّ فيه تذّلل الراغبين .)[٩]

- **الضراعة والتضرّع اصطلاحاً :**

فقد عرّف عدد من العلماء الضراعة بأنها الخشوع والتذلّل ، قال المناوي : (الضراعة : الخشوع والتذّلل . والتضرّع : أن تدعو الله عزوجل بضراعة .)[١٠]

(وهي : الذلة والاستكانة .)[١١]

وهي كذلك : (إظهار الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة إلى الشيء.)[١٢]

فالتضرّع إذن : (المبالغة في الضراعة وهي الذل والخضوع .)[١٣]

- **ولكن ما الفرق بين الضراعة والذلة ؟**

(إنّ الضراعة مشتقة من الضرع ، والضرع معرض لحالبه والشارب منه ، فالضارع : هو المنقاد الذي لا امتناع به ، ومنه التضرّع في الدعاء والسؤال وغيرهما ، ومنه الضريع الذي ذكره سبحانه وتعالى في كتابه إنما هو من طعام وذلّ لا منفعة فيه لآكله كما وصفه الله تعالى بقوله :﴿ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾ [الغَاشِيَة الآية ٧]

ويجوز أن يقال التضرّع : هو أن يميل أصبعه يميناً وشمالاً وذلاً ، ومنه سمّي الضرع ضرعاً لميل اللبن إليه .) [١٤]

إذن : يبدو مما تقدّم أنّ المعنى اللغوي للضراعة والتضرّع يوافق المعنى الإصطلاحي ، وأنّ التضرّع يكون أكثر تذللاً وخشوعاً من الضراعة .

- **التضرع على سبيل الأمر والتوجيه**

الدعاء عبادة لله سبحانه وتعالى بل هو من أعظم العبادات الذي يتقرّب به العباد إلى ربهم عزوجل ، والله تعالى قريب من عبده يسمع دعائه ويستجيب له كما قال جل وعلا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة الآية ١٨٦]

وهو سبحانه يدعو عباده أن يدعوه كما قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غَافِر الآية ٦٠]

أَي: (اعْبُدُونِي دُونَ غَيْرِي أُجِبْكُمْ وَأُثِبْكُمْ وَأَغْفِرْ لَكُمْ، فَلَمَّا عَبَّرَ عَنِ الْعِبَادَةِ بِالدُّعَاءِ جَعَلَ الإثابة استجابة.)[١٥]

و (هَذَا مِنْ فَضْلِهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أَحبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ.)[١٦]

اذن الدعاء هو العبادة كما في تفسير النبي ﷺ لهذه الآية ((عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١٧] .

وهنا يأمر الله تعالى أن يتوجّه العباد إليه بالدعاء مع التضرّع وهو التذلل والخضوع له جلّ وعلا بلا تكبر ولا تعنت لذلك يقول سبحانه وتعالى في آيتين كريمتين من كتابه الكريم : قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأَعۡرَاف الآية ٥٥] .

(يقول تعالى ذكره : ادعوا أيها الناس ربّكم وحده ، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام ﴿تَضَرُّعًا﴾ [الأَعۡرَاف الآية ٥٥]، يقول: تذلّلاً واستكانة لطاعته .)[١٨]

والدعاء بالتضرّع أي: (ضارعين متذللين

خاشعين، وخفية أَي: سراً)[١٩] .

وهذا ما يريده جلّ وعلا من الدعاء أن يكون تضرّعاً . وقال تعالى التضرّع مع الدعاء أن يكون خفية كما قال سبحانه :﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥] ،

(يقول : بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً ، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله .)[٢٠]

و(الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه ﴿تَضَرُّعًا﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥] أي: إلحاحاً في المسألة، ودؤوباً في العبادة، ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥] أي: لا جهراً وعلانيةً، يخاف منه الرّياء، بل خفية وإخلاصاً لله تعالى.)[٢١]

يقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥] (نصب على الحال ، أي: ذوي تضرع وخفية . وكذلك خوفاً وطمعاً. والتضرع تفعُّل من الضراعة وهو الذل ، أي: تذللاً وتملقاً ... وعن الحسن ﷺ : إنّ الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ، إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبداً . ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلاّ همساً بينهم وبين ربهم . وذلك أنّ الله تعالى يقول : ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥] وقد أثنى على زكريا فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مَرْيَم الآية ٣] وبين دعوة السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً.)[٢٢]

و(قرأ «شعبة» «خِفية» في الموضعين بكسر الخاء)[٢٣].

وما معنى الإعتداء في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٥] ؟

يقول ابن الجوزي : (وفي الإعتداء المذكور ها هنا قولان: أحدهما: إنه الإعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز. والثالث: أنه الجهر في الدعاء، قاله ابن السائب.

والثاني: أنّه مجاوزة المأمور به، قاله الزّجّاج[٢٤].)[٢٥]

إذن : نتعلم من هذه الآية الكريمة أنّه لا بدّ من أدب في الدعاء وأنّ التضرع في الدعاء مع الخفية وعدم رفع الصوت فيه ، وكراهية الإعتداء في الدعاء هو أحد أسباب الإستجابة .

أمّا في الآية الثانية جاء الأمر والتوجيه بالتضرّع مع ذكر الله عز وجل حيث يقول تعالى : ﴿وَٱذْكُر

رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأَعْـرَاف الآية ٢٠٥] يقول الطبري : (يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱذْكُر﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] أيُّها المستمع المنصت للقرآن، إذا قرئ في صلاة أو خطبة ، ﴿رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] ، يقول: اتعظ بما في آي القرآن، واعتبر به، وتذكّر معادك إليه عند سماعك ، ﴿تَضَرُّعًا﴾ [الأَعْـرَاف الآية ٢٠٥] ، يقول: افعل ذلك تخشّعًا لله وتواضعًا له. ﴿وَخِيفَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] ، يقول: وخوفًا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عمّا بين الله فيه من حدوده. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] ، يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار. يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار، ولكن في خفاء من القول .)[٢٦]

وقال أهل المعاني : وَاذْكُرْ رَبَّكَ اتعظ بالقرآن وآمن بآياته وَاذْكُرْ رَبَّكَ بالطاعة في ما يأمرك ﴿تَضَرُّعًا﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] تواضعاً وتخشّعاً ﴿وَخِيفَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] خوفاً من عقابه، فإذا قرأت دعوت بالله أي دُونَ الْجَهْرِ: خفاء لا جهار .)[٢٧]

وما المراد واذكر ربك في نفسك يقول الآلوسي : (المراد بالذكر في نفسه أن يكون عارفاً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه مستحضراً لصفات الكمال والعز والعظمة والجلال وذلك لأنّ الذكر باللسان عارياً عن الذكر بالقلب كأنه عديم الفائدة بل ذكر جمع أنّ الذكر اللساني الساذج لا ثواب فيه أصلاً ومن أتى بالكلمة الطيبة غير ملاحظ معناها أو جاهلاً به لا يعدّ مؤمناً عند الله تعالى .)[٢٨]

وهذا في معنى الذكر بصورة عامة أمّا تقييد الذكر بأن يكون في القراءة في الصلاة فقط فقد (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي بِالذِّكْرِ: الْقِرَاءَةَ فِي الصَّلَاةِ، يُرِيدُ يَقْرَأُ سِرًّا فِي نَفْسِهِ، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] ، خَوْفًا، أَيْ: تَتَضَرَّعُ إِلَيَّ وَتَخَافُ مِنِّي هَذَا فِي صَلَاةِ السِّرِّ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] ، أَرَادَ فِي صَلَاةِ الْجَهْرِ لَا تَجْهَرْ جَهْرًا شَدِيدًا بَلْ فِي خفض وسكون ، تسمع مَنْ خَلْفَكَ.)[٢٩]

والذي أراه أنّه عام لكلّ ذكر لله تعالى لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ولفظ ((ذكر)) في الآية تدل على العموم في كلّ وقت لذلك يقول النسفي في تفسيره هذه الآية : (هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] متضرّعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] متكلّماً كلاماً دون الجهر لأنّ الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير.)[٣٠]

والله عز وجل أمر بذكره في حالة السر مع التضرّع يقول :(مُجَاهِدٌ وَابْنُ جُرَيْجٍ : أَمَرَ أَنْ

يَذْكُرُوهُ فِي الصُّـدُورِ بِالتَّضَرُّعِ إِلَيْـهِ فِي الدُّعَاءِ وَالِاسْتِكَانَةِ، دُونَ رَفْعِ الصَّوْتِ وَالصِّيَاحِ بِالدُّعَاءِ. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأَعْـرَاف الآية ٢٠٥] ، أي: بالبكرات والعشيات، واحد الآصال : أَصِيلٌ، مِثْلَ يَمِينٍ وَأَيْمَانٍ، وَهُوَ ما بين العصر والمغرب .)[٣١]

ولماذا أمر الله سبحانه وتعالى بذكره بالتضرّع في هذين الوقتين؟ ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥] (لفضل هذين الوقتين وقيل المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر، ومعنى ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٢٠٥]: بأوقات الغدو وهى الغدوات والآصال)[٣٢].

إذن : من خـلال هذا التفسـير يتبين أنّ كلّ ذكر لله جلّ وعلا سواء في الصلاة والدعاء وفي كلتا الحالتين السر والجهـر وعلى كلا الوقتين بالغدو والآصال لا بدّ أن يكون مقروناً بالتضرّع لله سـبحانه وتعالى وهو تمام التذلل والخشوع والخضوع لله عز وجل .

والله تعـالى قد خصّ الدعاء بالخفية لما فيه من الحِكم ومنها أنّـه أكثر تقرّباً الى الله تعالى، وأنّه أعظم إيماناً لأنّه يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى يسمع الدعاء الخفي .

وأنّـه أعظم في الأدب والتعظيـم ، فإذا كان الإنسـان يخفض صوته عند الملوك ، فلا يليق بالأدب رفـع الصوت عندهـم ؛ فكيف بملك الملوك جلّ وعلا.

وأنّه أبلغ في التضرّع والخشوع الذي هو روح الدعاء وهـو المقصود منه ، ينكسر قلبه ويتذلل بجوارحه ويخشع بصوته ؛ فيدعوه دعاء الخائف الذليل. وأنّه أبعد عـن الرياء، وكثير من الفوائد الجليلة ، والحكم العظيمة .

وخصّ سـبحانه الذكر بالخيفـة لأنّ الذاكر بحاجة إلى الخوف ، فإنّ الذكر يستلزم المحبة، ولا بـدّ لمن أكثر من ذكر اللـه أن يثمر له ذلك محبتـه ، والمحبة ما لم تقـترن بالخوف ؛ فإنها لا تنفـع صاحبها بل تضرّه ، فلا بـدّ في العبادة لله سبحانه وتعالى من الحب والخوف والرجاء فهذه هي عقيدة المؤمن .

وكلّ هذا الإقتران بالخيفـة والخفية لا بدّ له من التضرّع حتى يكون الدعاء أقرب وأسمع .

التضرع ثمرة الأخذ بالبأساء والضرّاء

لقد جاءت الآيات القرآنية تبين أنّ أخذ الامم بالبأسـاء والضرّاء لكي يتضرّعوا لربهم سبحانه وتعالى فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَـمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَـآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٢]

(يقول تعالى ذكره: متوعدًا لهؤلاء العادلين به الأصنـامَ ومحذّرَهم أن يسـلك بهم إن هم تمادَوا في ضلالهم سبيلَ من سلك سبيلهم من الأمـم قبلهم ، في تعجيل اللـه عقوبته لهم في

الدنيا ، ومخبراً نبيَّه عن سنته في الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم في تكذيب الرسل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ [الأنعام الآية ٤٢] ، يا محمد إلى أمم ، يعني: إلى جماعات وقرون من قبلك فأخذناهم بالبأساء ، يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذّبوا رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالإبتلاء ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ [الأنعام الآية ٤٢] ، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام الآية ٤٢] ، وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام الآية ٤٢] يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرّعوا إليّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفْردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلّل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالإنابة.)[٣٣]

و(يَتُوبُونَ ويخضعون، والتضرّع : السؤال بالتذلّل.)[٣٤]

(وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا أَرْسَلْنَا الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ وَإِنَّمَا سَلَّطْنَا الْبَأْسَاءَ وَالضَّرَّاءَ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ أَنْ يَتَضَرَّعُوا.)[٣٥]

أي : إنّ الله سبحانه وتعالى أخذ الأمم بالبأساء والضرّاء لكي يتذللوا لربهم ويخضعوا ويتوبوا وهو المراد من التضرّع .

أما الآية الثانية التي بعدها : فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام الآية ٤٣]

أي: (هلاّ تضرّعوا بالتّوبة عند إنزال البأساء والضرّاء بهم، وهذا يفيد نفي التضرّع وإنما استعملت (لولا) في هذا المقام ليفيد أنّه لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع إلا عنادهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام الآية ٤٣] فلم ينزجروا بما ابتلوا به بل زادوا عتوا بدلاً من أن يتضرّعوا ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام الآية ٤٣] فصاروا معجبين بأعمالهم على قبحها وسوئها كما نرى المنحرفين عن أمر الله وما أكثرهم يسمّون انحرافهم أسماء تدل على عجبهم وافتخارهم بما هم فيه من ضلال .)[٣٦]

يقول صاحب لطائف الإشارات: (أنّهم لمّا أظلّهم البلاء، فلو رجعوا بجميل التضرّع وحسن الابتهال والتملق لكشفنا عنهم المحن، ولأتحنا لهم المنن، ولكن صدّهم الخذلان عن العقبى فأصروا على تمردهم، فقست قلوبهم وتضاعفت أسباب شقوتهم.)[٣٧]

فتركوا التضرّع والتوبة لربّهم بسبب العناد والتكبر بما قست قلوبهم وبما زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون .

إذن: (مقصود الآية : أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنّه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أخذوا بالشدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزين لهم الشيطان ضلالتهم فأصرّوا عليها.)[٣٨]

أمّا الآية الثالثة فقد بيّن الله سبحانه وتعالى

أيضاً سبب أخذهم بالبأساء والضرّاء لكي يتضرعوا لخالقهم ومغير حالهم فقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأَعْرَاف الآية ٩٤]

(يقول تعالى مخبراً عمّا اختبر به الأمم الماضية الذين أرسل إليهم الأنبياء بالبأساء والضرّاء ، يعني بالبأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام ، والضرّاء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأَعْرَاف الآية ٩٤] ، أي: يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم .)[٣٩]

فابتلاهم الله عزوجل بما يصيبهم في شؤون حياتهم حتى يخضعوا إلى ربهم ويدعونه بتضرّع .

يقول ابن عباس : (رضي الله عنهما) : (يريد كي يستكينوا ويرجعوا)[٤٠] أي (لكي يتضرّعوا فينيبوا ويتوبوا)[٤١] لربّهم عز وجل .

وفي الآية الرابعة : يفسّر الله عز وجل أخذ الامم بالعذاب لأنّهم لم يستكينوا ولم يتضرّعوا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤ *وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ [المُؤْمِنُون من الآية ٧٤ الى الآية ٧٦] .

يقول البغوي :(وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِّيِّ يُوسُفَ فَأَصَابَهُمُ الْقَحْطُ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؟ فَقَالَ: «بَلَى» ، فَقَالَ: قَدْ قَتَلْتَ الْآبَاءَ بِالسَّيْفِ والأبناء بالجوع فأين الرحمة فَادْعُ اللَّهَ أَنَّ يَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْقَحْطَ، فَدَعَا فَكَشَفَ عَنْهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦] أَيْ: مَا خَضَعُوا وَمَا ذَلُّوا لِرَبِّهِمْ، وَأَصْلُهُ طَلَبُ السُّكُونِ، ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦] أَيْ: لَمْ يَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بَلْ مَضَوْا على تمردهم.)[٤٢]

العذاب هنا القحط والجوع فإنهم لم يخضعوا ولم يتضرّعوا لربهم بل تكبروا .

إذن : التضرّع ثمرة الأخذ بالعذاب وهذا واضح من الآيات الواردة في السبب من البأساء والضراء والعذاب لكي يتضرع العباد إلى ربهم وينيبوا إليه .

فالمؤمن يرغب فيما عند ربه عزوجل فيشكر إذا أصيب بالسراء ويصبر بالضرّاء ويلحّ على ربّه بأن يرفع عنه ما أصابه وهذه هي صفة المومن يقول النبي ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[٤٣].

وقد يصاب المؤمن شيئاً من منغصات الحياة الدنيا من الهموم والأمراض والأسقام وغيرها فيعلم أنّ هذه الإبتلاءات ترفع الدرجات وتكفّر السيئات وتبلغ الغايات ، فندما سأل سعد بن أبي وقّاص

ﷺ رسولَ الله ﷺ فقال : أيّ الناس أشدّ بلاءً يا رسول الله ؟ قَالَ: "الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِه، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِه، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ" .)[٤٤]

ولماذا يبتلي الله عبده ؟

يقول ابن القيم (رحمه الله): (فالله يبتلي عبده ليسمع تضرّعه ودعاءه والشكوى إليه ولا يحب التجلد عليه ، وأحب ما إليه انكسار قلب عبده بين يديه وتذلله له وإظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره فاحذر كل الحذر من إظهار التجلّد عليه وعليك بالتضرع والتمسكن وإبداء العجز والفاقة والذل والضعف فرحمته أقرب إلى هذا القلب من اليد للفم)[٤٥]

يعني المقصد من ذلك التضرّع وهو الإنكسار إلى الله تعالى وإظهار الفاقة ،وبهما يكون العبد أكثر قرباً من ربه وخالقه ، وبه تتحقق الاستجابة والقبول منه جلّ وعلا .

حال عدم التضرّع في السرّاء والضرّاء

إنَّ من السنن الربانية التي استفاضت بها الأدلة الشرعية إيضاحاً وإقراراً أنَّ الله لا يُعَذِّب الأمم لمجرد ارتكاب الذنب والوقوع في الإثم، بل من رحمة الله أنَّ العذاب والإهلاك لا يُصيب الأمم والأفراد إلا بعد استيفاء مراحل متعددة؛ يتجلّى فيها حِلْم الله، وعدم معاجلته للأمم بالعقوبات، فإذا استقامت الأمم على النهج القويم غفر الله لها الزلات، وأمدّهم بعطائه، وتولاهم بحفظه، وأمّا إذا ما خالفت الأمم ونقضت العهود وأصرت على مخالفة المنهج الحق، والاستمرار على الغي، والتمادي في الباطل؛ فعندها يتنزّل عليهم العقاب ويحلّ عليهم السخط.

وإذا نزل الإبتلاء فلا يرفع إلا بالتضرّع والإلتجاء إلى الله رب العالمين.

ولقد أخبر الله تعالى عن أقوام ابتلاهم وتوعدهم بالعذاب فاستكان بعضهم وتضرّع إلى الله فكشف الله عنهم عذاب الدنيا، كقوم يونس (عليه السلام) الذين قال الله عنهم: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يُونُس الآية ٩٨]

(والغرض أنّه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيّهم ممّن سلف من القرى، إلّا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم، بعد ما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به، وتضرّعوا لديه. واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابّهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم،

فعندها رحمهم الله، وكشف عنهم العذاب.)[٤٦]

وأنزل الله تعالى سورة كاملة في كتابه الكريم باسم سورة يونس (لأنّ قوم يونس عليه السلام هم الأمة الوحيدة التي آمن كل أفرادها بالله تعالى واتَّبعوا نَبيَّهم، فكان هذا من قدر الله فيهم دوناً عن بقية الأمم، فجاءت التسمية؛ تنويهاً بهذا الفضل)[٤٧]

وهذا فضل من الله عز وجل ورحمة منه .

ولقد عاب على قوم لا يتضرّعون إلا عند حلول النكبات، فإذا نجّاهم الله، وأجاب سؤلهم أعرضوا عن شرعه، وشكروا غيره، يقول تعالى :﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾ [الأَنْعَام من الآية ٦٣ الى الآية ٦٤]

فكان حالهم في ظلمات البر والبحر الدعاء ﴿تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً﴾ [الأَنْعَام الآية ٦٣] (فبيّن تعالى أنّه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصليّة في هذه الحالة بأنّه لا ملجأ إلا إلى الله، ولا ولا تعويل إلّا على فضل الله ، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات، لكنّه ليس كذلك، فإنّ الإنسان بعد الفوز بالسّلامة والنجاة، يحيل تلك السّلامة إلى الأسباب الجُسمانيّة، وَيُقْدِمُ على الشرك.)[٤٨]

ولقد عاب الله على قوم لا يتضرّعون قال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧﴾ [الإِسْرَاء الآية ٦٧] (بيّن تعالى أنّ رجوعهم للشرك بعد أن نجّاهم الله من الغرق من شدّة جهلهم وعماهم ؛ لأنّه قادر على أن يهلكهم في البر كقدرته على إهلاكهم في البحر وقادر على أن يعيدهم في البحر مرة أخرى ويهلكهم فيه بالغرق فجرأتهم عليه إذا وصلوا البرّ لا وجه لها . لأنّها من جهلهم وضلالهم وذلك في قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ٦٩﴾ [الإِسْرَاء من الآية ٦٨ الى الآية ٦٩] [٤٩]

وإنّ العباد قد يغفلون في أوقات الرخاء عن عبادة التضرع ، واستشعار حاجتهم وفقرهم التام إلى ربهم ، ولكن لا ينبغي لهم أن يغفلوا عنها في أوقات البلاء والمحنة، ولو أنهم غفلوا في الحالين لعرَّضوا أنفسهم لعقوبة الله، فإن أسوأ أحوال العبد أن تغرّه النعمة ويزين له الشيطان الفرح والبطر بما أوتيه من نعم متتالية، فيغفل عن شكرها، وعندها تحلّ عليه العقوبات، قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا

ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأَنْعَام من الآية ٤٢ الى الآية ٤٥]

هذا من إمهال الله للأمم السابقة ؛ ففي أول الأمر أخذهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرّعون فلمّا لم يتضرّعوا وقست قلوبهم حلّت ووقعت عليهم العقوبة، ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٤] ، إستدراجاً من الله لهم .

وفي هذه الآيات (تسلية للرسول ﷺ وإنّ عادة الأمم مع رسلهم التكذيب والمبالغة في قسوة القلوب حتى هم إذا أخذوا بالبلايا لا يتذللون لله ولا يسألونه كشفها ، وهؤلاء الأمم الذين بعث الله تعالى إليهم الرسل أبلغ انحرافاً وأشد شكيمة وأجلد من الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ.)[٥٠]

﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٣] (معناه : نفي التّضرع ، كأنه قيل : فلم يتضرّعوا إذ جاءهم بأسنا . ولكنه جاء (بلولا) ليفيد أنّه لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم ، وإعجابهم بأعمالهم التي زيّنها الشيطان لهم) ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٤] (من البأساء والضرّاء : أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم) ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٤] (من الصحة والسّعة وصنوف النعمة ، ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء ، كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى ، طلباً لصلاحه)[٥١] ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٤] (أي حتى إذا ظنّوا أنّ الذي أوتوا إنّما هو باستحقاقهم ولم يزدهم ذلك إلا بطراً وغروراً، أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كونهم مبغوتين، إذ فاجأهم على غرة من غير سبق أمارات ولا إمهال للاستعداد أو للهرب، ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٤] أي: يائسون من النجاة.)[٥٢]

وقال تعالى عن حالهم أيضاً:﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابَا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المُؤْمِنُون من الآية ٧٦ الى الآية ٧٧]

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦] (قال الضحاك : بالجوع. وقيل: بالأمراض والحاجة والجوع.

وقيل : بالقتل والجوع. ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦] أي: ما خضعوا. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦] أي ما يخشعون لله عز وجل في الشدائد تصيبهم ..

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابَا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٧] قال عكرمة : هو باب من أبواب جهنم ، عليه من الخزنة

أربعمائة ألف ، سود وجوههم ، كالحة أنيابهم ، وقد قلعت الرحمة من قلوبهم ؛ إذا بلغوه فتحه الله عز وجل عليهم. وقال ابن عباس : هو قتلهم بالسيف يوم بدر. وقال مجاهد : هو القحط الذي أصابهم حتى أكلوا العلهز[٥٣] من جوع ؛ وقيل فتح مكة.)[٥٤] وكل هذه المعاني محتملة للعذاب الشديد .

فكيف يكون حالهم ؟ يقول تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المُؤمِنُون الآية ٧٧] (أي يائسون متحيرون لا يدرون ما يصنعون ، كالآيس من الفرج ومن كل خير.)[٥٥]

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لأهل النار في الآخرة طعاماً من ضريع كما قال تعالى عن وجوه الذين كفروا يوم القيامة بأنّها خاشعة ذليلة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغَاشِيَة من الآية ٢ الى الآية ٧] فالضريع:(يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، وقيل شجرة نارية تشبه الضريع، ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم، أو المراد طعامهم ما تتحاماه الإبل وتعافه لضرّه وعدم نفعه كما قال ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغَاشِيَة الآية ٧] والمقصود من الطعام أحد الأمرين.)[٥٦] فهذا هو حال الذين كفروا بربهم وكذّبوا رسله .

وبهذا يتبيّن أنّ الدعاء بتضرّع وانكسار هو سبب من أسباب النجاة من الأهوال يقول الامام الغزالي (رحمه الله تعالى) :(فإنّ الله تعبّد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاءً للقلب ومفتاحاً للكشف وسبباً لتواتر مزايا اللطف، كما أنّ حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلباً لإزالة العطش مباشرة سبب رتّبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتّبه الله تعالى وأمر به.)[٥٧]

أمّا المؤمن فهو يعيش في خير ونعمة ؛ فهو يعيش دائماً حياة طيبة بين شكر وصبر ؛ إن أصابته سرّاء شكر المنعم المتفضّل ، وإن اصابته ضرّاء صبر ورضي بقضاء الله وقدره ، وسلّم أمره لربه وخالقه ، واقبل عليه ، واعتصم بحبله المتين ، فكان له الخير ، وعاش حياة السعداء ، حياة طيبة في سرائه وضرائه .

* * *

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فبعد الإنتهاء من البحث في لفظ الضراعة والتضرع في القرآن الكريم ، أذكر أهمّ النتائج التي توصّلت إليها وهي باختصار:

١. التوحيد الخالص لله عز وجل هو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة .

٢. كلما كان العبد أكثر قرباً وصلة بربه كلما كان الله قريباً منه فيسمع مناجاته وحاجاته .

٣. إنّ الأحوال لا تتغير على الإنسان إلا إذا غيّر الإنسان نفسه فإنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

٤. التضرّع عند نزول البأس هو سبيل إلى دفعه ، ومن تركه فهذه أمارة على قسوة القلب .

٥. الضراعة والتضرع إلى الله هي صفة الموحدين المخلصين الصادقين .

٦. على العبد أنْ يظهر عجزه وفقره وحاجته ومسكنته لرب العالمين ، وهذا هو معنى الضراعة والتضرع .

٧. إنّ الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده في السرّاء والضرّاء بالنعمة وبغيرها بالخير والشر ولا يستفيد من الحالتين إلا المؤمن ، له في كلتا الحالتين خير كثير ، وليس لأحد إلا للمؤمن ، فهو في السرّاء يشكر ، وفي الضراء يصبر .

إذن : فلنتضرع إلى الله عزّ وجل في كلّ أحوالنا حتى يصلح لنا جميع أمورنا ويفرّج عنا ما نحن فيه ويسعدنا في الدنيا والآخرة ، فإنّ من تضرّع اليه أكرمه وحباه وأسعده في الدارين .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المصادر والمراجع

- القران الكريم.

١. الأساس في التفسير : سعيد حوّى ، ت: ١٤٠٩ هـ ، دار السلام - القاهرة ، ط ،٦، ١٤٢٤ هـ .

٢. إحياء علوم الدين : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ولد ٤٥٠/ توفي ٥٠٥،تحقيق: دار االمعرفة ، بيروت .

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ت: ١٣٩٣هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، بيروت .

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ت: ٦٨٥هـ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، - ١٤١٨ هـ .

٥. أول مرة أتدبر القرآن : جمع وإعداد: عادل محمد خليل، قدّم له: فهد سالم الكندري، د. محمد الحمود النجدي، د. عبدالمحسن زبن المطيري، شركة إس بي - الكويت، ط١٣، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م .

٦. بصائر ذوي التمييز : لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت : ٨١٧هـ ، المحقق : محمد علي النجار ، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٧. تفسير القرآن : أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ،ت : ٤٨٩هـ ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض - السعودية ، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

٨. تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ولد ٦٥٤هـ/ ٧٤٥هـ ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق : د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. احمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، لبنان/ بيروت .

٩. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني ، ت : ١٣٥٤ هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

١٠. تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م . ودار الكتب العلمية - منشورات محمد علي بيضون

، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ .

١١. **تفسير المراغي :** أحمد بن مصطفى المراغي، ت: ١٣٧١هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

١٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

١٣. **تهذيب اللغة :** أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ولد ٢٨٢هـ ، ت: ٣٧٠هـ ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م ، بيروت.

١٤. **التوقيف على مهمات التعاريف :** لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، ت ١٠٣١، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، ١٤١٠هـ ، بيروت ، دمشق .

١٥. **جامع البيان في تأويل القرآن :** المحقق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٦. **الجامع لأحكام القرآن :** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ٦٧١ هـ، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

٧١. **روح البيان :** إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء ، ت : ١١٢٧هـ ، دار الفكر ، بيروت .

١٨. **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة :** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٥ - ١٩٧٥.

٩١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :** أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي ، ت : ١٣٤٢هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٠٢. **زاد المسير في علم التفسير:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت: ٥٩٧هـ ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط١ - ١٤٢٢ هـ .

١٢. **سنن ابن ماجه :** ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت: ٢٧٣هـ ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية ، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٢٢. **سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح:** للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩ - ٢٧٩، حققه وصححه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت . تحقيق : أحمد

محمد شاكر وآخرون .

٢٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، ت : ٣٩٣هـ ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢٤. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ولد ٢٠٦/ توفي: ٢٦١تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٢٥. القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن ،ت: ١٤٢٢هـ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة،ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

٢٦. كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولد: ١٠٠هـ / توفي: ١٧٥هـ، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي .

٢٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق، ت: ٤٢٧هـ ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

٢٩. لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور، المحقق : عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف، القاهرة .

٣٠. لطائف الإشارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت : ٤٦٥هـ ، المحقق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣.

٣١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ت: ٧١٠هـ ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ،راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٣٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، ت : ٥١٠هـ ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٣٣. معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ،ت: ٣١١هـ ،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ،عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٣٤. معجم الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، ت : ٣٩٥هـ ، حققه وعلق عليه : محمد

إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر.

٣٥. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣٦. مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، ت: ٦٠٦هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣ - ١٤٢٠ هـ .

٣٧. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت : ٥٠٢هـ ، المحقق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق - بيروت ، ط١ .

٣٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، الشافعي ، ت : ٤٦٨هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دار الشامية ، دمشق - بيروت ، ط١ .

* * *

الهوامش

١. سورة البقرة : الآيتان : (١٥٥-١٥٦).
٢. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح: للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩ - ٢٧٩، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر، كتاب الزهد، باب في الصبر على البلاء، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ٢٧/٤، برقم:٢٥٠٧.
٣. سورة غافر الآية (٦٠).
٤. سورة الأنعام : الآية (٤٢).
٥. سورة الأنعام : الآية (٤٣).
٦. سورة الأنعام : الآية (٦٣).
٧. سورة الأعراف : الآية (٥٥).
٨. سورة الأعراف : الآية (٩٤).
٩. سورة الأعراف : الآية (٢٠٥).
١٠. سورة المؤمنون : الآية (٧٦).
١١. سورة الغاشية : الآية (٦).
١٢. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٣/ ٣٩٦) .
١٣. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ولد ٢٨٢هـ ، ت: ٣٧٠هـ ،

تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م ، بيروت ،١ /٢٩٨ .
١٤. المصدر نفسه .
١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت : ٣٩٣هـ ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ،٣ / ١٢٤٩ .
١٦. سورة الأعراف : من الآية (٩٤) .
١٧. ينظر المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت : ٥٠٢هـ ، المحقق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق - بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ، (٥٠٦) .
١٨. سورة الأنعام من الآية : (٦٣) .
١٩. سنن الترمذي : أبواب السفر ، باب ما جاء في صلاة الإستسقاء ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ،٣٥/٢، برقم: ٥٥٥.
٢٠. ينظر لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور، المحقق : عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ٤/ ٢٥٨٠.
٢١. بصائر ذوي التمييز : لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت : ٨١٧هـ ، المحقق : محمد علي النجار ، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، (١/ ١٩٤) .
٢٢. التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، ت ١٠٣١، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، ١٤١٠هـ ، بيروت ، دمشق ، ٢٢٢ .
٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، ت : ٣١٠هـ ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ بيروت، ٧/ ١٩٢ .
٢٤. روح البيان : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء ، ت : ١١٢٧هـ ، دار الفكر ، بيروت ، ٣/ ٤٧ .
٢٥. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني ، ت : ١٣٥٤ هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م ، ٧/ ٤٠٦ .
٢٦. سورة الغاشية : الآية (٧) .
٢٧. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، ت : ٣٩٥هـ ، حققه

وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ٣٢٧.

٢٨. سورة البقرة من الآية (١٨٦).

٢٩. سورة غافر : الآية (٦٠) .

٣٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، ت : ٥١٠هـ ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٢٠/٤

٣١. تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت : ٧٧٤هـ ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ،١٥٣/٧ .

٣٢. سنن الترمذي: دار إحياء التراث العربي، بيروت ، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عن رسول اللَّهِ ﷺ)) ،بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِ ، قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، ٥ / ٣٧٤، برقم : ٣٢٤٧.

٣٣. سورة الأعراف : الآية (٥٥) .

٣٤. جامع البيان : ١٢/ ٤٨٥.

٣٥. تفسير القرآن : أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ،ت : ٤٨٩هـ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض - السعودية ، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، ٢/ ١٨٩.

٣٦. المصدر السابق : ١٢/ ٤٨٥.

٣٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، ٢٩١ .

٣٨. سورة الأعراف : الآية (٥٥) .

٣٩. سورة مريم : الآية (٣) .

٤٠. ينظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، ٢/ ١٠٥ .

٤١. القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن، ت: ١٤٢٢هـ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة،ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م،٢٤١/١.

٤٢. سورة الأعراف : من الآية (٥٥) .

٤٣. ينظر معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ،ت: ٣١١هـ ،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ٣٤٤/٢.

٤٤. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين

أبو الفرج عبد الرحمـــن بن علي بن محمد الجـــوزي ، ت : ٥٩٧هـــ ، المحقق: عبد الـــرزاق المهـــدي ، دار الكتـــاب العربي - بيروت ، ط١، ١٤٢٢ هـ ، ١٣٠/٢ .

٤٥. سورة الأعراف : الآية (٢٠٥) .

٤٦. جامع البيان في تأويل القرآن : ١٣/ ٣٥٣ .

٤٧. الكشف والبيان عن تفســير القرآن : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق، ت: ٤٢٧هـــ ، تحقيق: الإمـــام أبي محمد بن عاشـــور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الســـاعدي ، دار إحيـــاء الـــتراث العربي ، بيروت - لبنـــان ، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ،٤/ ٣٢٢ .

٤٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـــاني : أبو المعالي محمود شـــكري بن عبد الله بن محمـــد بن أبي الثناء الآلوسي، ت : ١٣٤٢هـــ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٥٤/٩.

٤٩. سورة الأعراف من الآية (٢٠٥) .

٥٠. سورة الأعراف من الآية (٢٠٥) .

٥١. معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٢٦٤/٢ .

٥٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله بـــن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ت: ٧١٠هـ ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ،راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب ، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ،٦٢٨/١ .

٥٣. سورة الأعراف من الآية (٢٠٥) .

٥٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٢٦٤/٢.

٥٥. سورة الأعراف : من الآية (٢٠٥).

٥٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٦٢٨/١ .

٥٧. سورة الأنعام : آية (٤٢) .

٥٨. جامع البيان في تأويل القرآن : المحقق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ،١١/ ٣٥٤- ٣٥٥/١١ .

٥٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٢/ ١٢٣.

٦٠. مفاتيـــح الغيـــب : أبو عبد اللـــه محمد بن عمر بن الحســـن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الديـــن الرازي خطيب الري، ت: ٦٠٦هـــ ، دار إحياء الـــتراث العربي - بيروت ، ط٣ - ١٤٢٠ هـ ، ج١٢/ ٥٣٣ .

٦١. سورة الأنعام : آية (٤٣) .

٦٢. الأســـاس في التفسير : ســـعيد حوّى ، ت: ١٤٠٩ هـــ ، دار الســـلام - القاهرة ،ط ٦، ١٤٢٤ هـ ،١٦٣٠/٣ .

٦٣. لطائف الإشـــارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملـــك القشـــيري ت : ٤٦٥هـ ، المحقق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط٣ ، ٤٧٢/١

٦٤. زاد المسير في علم التفسير: ٢٨/٢.

٦٥. سورة الأعراف : الآية (٩٤) .

٦٦. تفســـير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل

بن عمر كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت : ٧٧٤هـ ، المحقق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية - منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ ، ٤٠٤/٣.

٦٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، الشافعي ، ت: ٤٦٨هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دار الشامية ، دمشق - بيروت ، ط١/ ١٤١٥هـ ٤٠٤.

٦٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٤/ ٢٦٤.

٦٩. سورة المؤمنون : الآيات (٧٤-٧٦).

٧٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣٧١ / ٣ .

٧١. صحيح مسلم :مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ولد ٢٠٦/ توفي: ٢٦١

٧٢. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، بَاب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، ٤/ ٢٢٩٥، برقم: ٢٩٩٩.

٧٣. سنن ابن ماجه : ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت: ٢٧٣هـ ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية ، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، كتاب الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ ،حديث صحيح، ١٥٢/٥/ برقم: ٤٠٢٣.

٧٤. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٥ - ١٩٧٥،٢٥٩.

٧٥. سورة يونس : الآية (٩٨) .

٧٦. تفسير القرآن العظيم : دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢٩٧/٤.

٧٧. أول مرة أتدبر القرآن: جمع وإعداد: عادل محمد خليل، قدّم له: فهد سالم الكندري، د. محمد الحمود النجدي، د. عبدالمحسن زبن المطيري، شركة إس بي - الكويت، ط١٣، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م، ٧١.

٧٨. سورة الأنعام : الآيتان (٦٣-٦٤).

٧٩. مفاتيح الغيب : ٢٠/١٣.

٨٠. سورة الإسراء : الآية (٦٧).

٨١. سورة الإسراء : الآيتان (٦٨-٦٩).

٨٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ت: ١٣٩٣هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، بيروت،

٤٧٨/١.

٨٣. سورة الأنعام : الآيات (٤٢-٤٥).

٨٤. تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ولد ٦٥٤هـ/ ٧٤٥هـ ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق : د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. احمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، لبنان/ بيروت،٤/ ١٣٣.

٨٥. الكشاف : ٢٣/٢.

٨٦. سورة الأنعام : من الآية (٤٤).

٨٧. تفسير المراغي :أحمد بن مصطفى المراغي، ت: ١٣٧١هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ،٧/ ١٢٥.

٨٨. سورة المؤمنون :الآيتان (٧٦-٧٧).

٨٩. العلهز : كان يفعل في الجاهلية يعالج الوبر بدماء الحلم فيأكلونه قال: (وإن قرى قحطان قرف وعلهز ، فأقبح بهذا ويح نفسك من فعل). كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولد: ١٠٠هـ / ت: ١٧٥هـ،تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٢/ ٢٧٨.

٩٠. ينظر الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ٦٧١ هـ، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م ،١٤٣/١٢.

٩١. المصدر نفسه : ١٤٣/١٢.

٩٢. سورة الغاشية : (الآية ٢-٦).

٩٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ت: ٦٨٥هـ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، - ١٤١٨ هـ، ٥/ ٣٠٧.

٩٤. إحياء علوم الدين :محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ولد ٤٥٠/ توفي ٥٠٥،تحقيق: دار المعرفة ، بيروت، ٣٥٤/٤.

* * *